

ما بين الزريقة

وام صيقعون

دخلت دنيا التجارة، وأنا يافع، عند بدايات التحاقى بالخلوة... يعني ما قبل انتمائي لمدرسة شبشة الأولية... في منتصف خمسينات القرن الميلادي المنصرم، لكنني أعترف، وبكامل قواي العقلية، أنها كانت تجارة (أي كلام)... كانت عبارة عن تجارة ناتج محاكاة و (بس) يعني (حاكو .. حاكو)... فهي التي تحمل في طياتها (أكدح واكسب) (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه) صدق الله العظيم، ف..(الخموس).. ودنيا (التعاريف) وبالذات (التعريف المقدودة).. كانت ممتعة للغاية، حين الحصول عليها بعرق الجبين، فهي تسد تلبية حاجتنا... ونحن صغار، في توفير المتطلبات الهينة... والتي كان في إمكان الأسرة، توفيرها لنا، غير أننا كنا نهوى المغامرة... واقتحام دنيا الكسب المالي، تقليداً.. ومحاكاة، لما يدور في أوساط أهلنا في شبشة... من نشاطات تجارية... تميزت بجنورها المتعمقة، في عوالم التجارة...

اتخذنا في (زمانا داك)... التجارة مسلكاً حتمياً، ومحبياً لنا... علاوة على ممارسة كل نشاطات الطفولة... في أرض يحتل النيل من صفحاتها.. مسافات متطاولة، على الشاطئ الغربي، دائم الاخضرار... حيث أنه كان يوجد بدور الانغراس الثقافي غير محدود... في ذواتنا، فقد كان يمثل النبع التراثي... الذي ساعد في تكوين إنسان ذلك الزمان، ومن عاش قبله.. أو من أتى من بعده...

فإنسان النيل تميز كثيراً عن غيره... بلغة لها رنينها وبريقها المميز... وسلوك نشاطي متعدد الجوانب... كالزراعة، والرعي، والتجارة... وحرماً في مختلف المجالات... متعددة التكوينات، كالنجارة.. والحدادة.. وصناعة الأحذية.. والأدوات المنزلية.. من أخفها ك..(السمكرة) في صناعة (الكيزان).. و (الجبنت).. و (القراقير).. وإلى أصعبها (دق الحلب) ك..(الطشاة) و ك..(الطوانجي)...

في هذا الخضم المجتمعي المتداخل، في كل شيء، بدأت تجارتي بصناعة وبيع **(النبيل)** ومفردتها **(نبيلة)** بكسر النون، كنت أرتاد أماكن تواجد أسلاك التلفونات القوية... مثل تلك التي تثبت بها أعمدة التلفونات على الأرض... وذلك بشدها للجانبين لحفظ توازنها وتثبيتها في نفس الوقت، كدعامة ضرورية... لم أعمد يوماً لقطع تلك الأسلاك من الأعمدة لسببين اثنين:

أولهما... **(المروة البتقطعا ذاتها مافي)...**

ثانيهما... **(الخوف الشديد من علي التلفنجي... راجل بت الهادي)...**

فكنت أتصيد ما سهل قطعه... من الأسلاك المقطوعة سلفاً.. فأصنع منه **(أيادي)** النبيل... والتي تأخذ في الغالب شكل **(لام الألف)...** وفي عدم توافر نوعية السلك المطلوب.. أظل أجوس فيما بين الشجيرات الشائكة غالباً... لأنها أكثر وفرة... أو غير ذات الأشواك **(زي)** **(الدهسير)...** **(نبدا نفتش في فروعها على شعقة... تشبه الشعبة... أو لام الألف)...** **(نقطعا من أمها) بي..(الجزازة) أو بي..(السكاب) لأنه خفيف الحمل وسهل الاستخدام...**

دائماً ما نعود ، نحن صناع النبيل، من **(الخلا) المجاور (للحلة)** شايلين في أيدينا مجموعة من **(الشعقات)** التي يمكن أن تمثل أيادي أو مقابض ل..**(النبيل)...** و من ثم تبدأ المرحلة الثانية... وهي توفير **(الخنزيرة)** أو **(اللسكة)** والتي نقطعها من **(اللسك) (الجواني)** في عجلات **(العربيات والتركرات)...** المتوافرة في محطات **(بوابير الموية)...** زي بابور التجاني حمودي...تلك الموجودة عند بداية **(الترع)** في المشاريع الزراعية... كنا نمزق **(اللسك الجواني)** و **(نقطعو)** في شكل **(سيور)** لا يتعدى طول الواحد منها 30سم، كما كنا أيضاً... نحضر قطعة من الجلد العادي، بعد **(نقطعو)** من قربة أو سعن قديم، أو من مركوب **(مجدوع)** في الشارع... أو من بقايا ما يرميه الاسكافي من قطع صغيرة... ونصنع منها قاعدة مستطيلة بعد بلها **بي..(الموية)...** و **(نقدها)** بي..السكين أو بي..الموس من الطرفين... و نربط في كل طرف من الطرفين... راس **فردة السير...** بي..سلك **(رقيق)** يعني رفيع أو **(خيت)** خيط مغزول وقوي... ومن ثم يربط الطرفان الآخران بالمقبض **(يد النبيلة)**، كل في جانب محدد (يمين وشمال) وبذلك تصبح النبيلة جاهزة للاستخدام وتتوقف فاغليتها على مدى مهارة من يستخدمها للظفر بطيرة أو طيرتين أو أكثر كلها مهارات أملت علينا البيئة التي نحن من مكوناتها أن نجود تلك الصناعة فيها وهي لم

تدرس لنا إنما بالمحاكاة فقط تعلمناها. كان سعر النبله في ذلك الزمان قرشان أو قرش ونص وقد كان لهذا المبلغ في زمانه شأن اقتصادي كبير.

أما الممارسات التجارية في عربيات السلك وهي كانت كثيراً من كل أطفال الجيل إلا أن هناك ما يميز بعضها من نوعية السلك المستخدم في هياكلها وفي عجالاتها وفي الدركسون ونوعية الحباسات من اللستك السميك ونوعية وكمية الدلافين المستخدمة وقد تتميز أيضاً بالصندوق المصمم تصميماً جيداً والذي كثيراً ما يستهوي من يشترونها ومن الجدير بذكره لم تكن نستورد مواد التصنيع من الخارج وبالعملة الصعبة كمان فهي كانت متوافرة بشكل ملحوظ وقد يتعدى سعر اللوري في بعض الأوقات وذلك حسب النوعية وحسب رغبة المشتري الخمسة قروش (شلمن)...

من هذه النشاطات التجارية البئوية انتقلت إل